نقل الأديب

للأستاذ محمد سعيد العريان

٥٣٣ — لولا القول لطاروا

قال أبو الحجاج يوسف بن محمد البلوى فى كتابه (ألف با) : كنت أقرأ على الحافظ بالإسكندرية (رحمه الله وحرسها) جزءاً من تآليفه ، فررتُ فيه بحديث يَرويه عن أشياخه عن الشافعى (رضى الله عنهم) قال : القولُ يزيد فى الدماغ ، والدماغ يزيد فى العقل . وأهلُ تلك البلاد[1] ينقطون الفاء بواحدة من فوق ، وينقطون القاف باثنتين من فوق أيضاً ، فلم أُلْقِ بالى ، وحسبت الفاء قافاً فقرأت (القول يزيد فى الدماغ) فضحك ـ وكان حلواً ظريفاً ، رحمه الله ـ وقال لى : القولُ يفرّغ الدماغ أو نحو هذه الكلمة . فقلت له : القول عندى فى الكتاب . فقال : إنما هو الفول ، فأعلمنى بمذهبهم فى النقط ، فقلت له : كيف يزيد الفول فى العقل ، ونحن نقول فى بلادنا بخلاف ذلك ؟ فضحك وقال : سألتُ عن هذه المسئلة شيخي فلانا فقلتُ له كيف هذا وطَبَرِسْتان أكثر بلاد الله فولاً ، وأهلُها أخفُّ الناس عقولاً ؟ فقال لى : لولا الفول لطاروا ...

(الرسالة) : كان المرحوم الدكتور عباس حلمى طبيب الأزهر على عهدنا يرى هذا الرأى ويقول : « لولا الفول لجن الأزهريون من طول النظر فى كتبهم المعقدة »

٥٣٤ — تمنيت وكيعاً فسميته صديقاً

قال أبو حيان على بن محمد التوحيدى : قلت للهائم أبى على : من تُحبّ أن يكون صديقَك ؟

قال : من يطعمنى إذا جعت ، ويكسونى إذا عريت ، ويحملنى إذا كَلَلْت ، ويغفر لى إذا زَلَلْت

فقال له على بن الحسين العلوى : أنت إنما تريد إنساناً يكفيك مَؤونتك ، ويكفُلُك[1] فى حالك ، كأنك تمنيت وكيلاً فسميته صديقاً . . .

فما أحار الهائم جواباً

(١) يعني المشارقة ، والمغاربة يقطون الفاء بواحدة من تحت ، والقاف بواحدة من فوق

١٧ ، ٢٢

٥٣٥ — قد ضل عقلى فى تراكيبه

أنشد للمأمون :

أما ترى ذا الفَلَك الدائرا ... أبيت من همٍّ به ساهرا

مفكراً فيه وفى أمره ... فما أرى خلْقاً به خابرا

يُخبر عن لطف تدابيره ... وكيف أضحى للورى حاصرا

قد ضلّ عقلى فى تراكيبه ... وصار قلبى والهاً حائرا

يا ليت شعرى هل أرى مرة ... أكون فى أبراجه سائرا

أكون معْ طالعها طالعا ... وتارةً معْ غائرٍ غائرا

حتى أرى جملةَ تدبيره ... وأعلم المستورَ والظاهرا

٥٣٦ — الغنى والفقر

سئل أبو محمد الجريرى عن الفقر والغنى أيهما أفضل ؟ فقال : لو لم يكن من فضل الفقر إلا ثلاث : إسقاط المطالبة ، وقطع عن المعصية ، وتقديم الدخول إلى الجنة ، لكفى . فنقل هذا الكلام إلى أبى العباس بن عطاء « أحمد بن محمد » فقال : يا سبحان الله ! وأى فضل يكون أفضل مما أضافه الله إلى نفسه ؟ وأى شىء يكون أعجز من شىء تنافى الله عنه ؟ لأن الله أضاف الغنى إلى نفسه ، وتنافى عن الفقر ، واعتد على نبيه فقال : (ووجدك عائلاً فأغنى) ولم يقل فأفقر ، فكان اعتداد الله بالعطاء لا بالفقر . ثم ذكر عند تشريف أسماء العطاء « إن ترك خيراً » ، ولم يقل : إن ترك فقراً . فإن احتج محتج بأنه عرض عليه (صلى الله عليه وسلم) مفاتيح الدنيا فلم يقبلها وتركها اختياراً ؛ فهذه صفة التاركين ، والتارك لا يكون إلا غنيا .

(١) كفلت الرجل والصغير : عللته وقت به (المصباح) . « زللت » بفتح اللام وكسرها وقرئ بهما